فاللغة عند الشاعر ترتفع عن الاستهلاك ، وتتم تنميتها وتصفيتها وترفع الى الجزالة المطلقة · وفي الكتابة البحثية التاريخية يتجلى هذا الموقف بشكل مختلف، فشارل مالك يرى في العادات والتقاليد نوعا من الاصالة التي تعلن جوهرا ما عند اللبناني ، ان شكل العيش هو نوع من الشعر الذي يفضي الى العلياء ·

من هذه المنطلقات تأسس « قصر الثقافة » · وانها لدلالة كبيرة ان يتأسس القصر ابان فترة الحرب ، مع ما تقود اليه تلك الفترة من اندحار للصيغة السامية · في الحرب يضطر المحاربون الى التخلي عن الحلم ·· وهذا التخلي يتجلى ممارسة يومية ، قتلا وعنفا وتخليا عن المثل · كان قصر الثقافة مؤسسة فريدة في تميزها عما يجري · كان قلعة محصنة بجدران سميكة تمنع انهيارات الخارج من التسلل الى حرم الفكر · انه يؤمن المستقر الروحي في زمن اضطر فيه « اللبنانيون » الى التخلي عن الروح ·

ولكن هل يستطيع قصر الثقافة ، من ضمن المنطلقات التي حددها بيانه التأسيسي ، ان يتحول الى تيار ثقافي يوجه المثقفين ؟ وهل يستطيع حتى ان يتبنى ما ينتج من ثقافات وفنون ابان فترة الحرب ؟ وهل يحضر في الثقافة الراهنة فيحدد لها المنطلقات ؟ هذه الاسئلة واسئلة اخرى كثيرة حول دوره تصطدم بالنتاجات الفنية والثقافية التي لا تأخذ بعين الاعتبار المقدمات التي هيأت لتأسيس القصر · انه لا يتعاطى مع ثقافات الحرب ، بل ينكفيء الى ما قبلها · انه يستلهم الماضي الثابت وثقافته المطلقة ، وهو لذلك متحف يعرض في ردهاته النصوص القديمة ، ويضيف اليها ، بين الحين والحين اثريات حديثة·

ان تسمية قصر الثقافة بهذا الاسم يحمل دلالة كبيرة ، وتنسجم التسمية مع ما قاله سعيد عقل في العام ١٩٥٤ حول « النخبة الثقافية » و « انديتها المتنفسة بالرفعة » · ولا شك ان هذه التسمية تستدعي الكثير من الصفات التي ترتبط بالوصية الثقافية ، قصر الثقافة ليس منتدى ثقافيا او اتحادا ثقافيا ، انه القصر الذي يحتضن النبيل والمترف ، والذي يؤمن الحصانة من وسخ الشارع وغوغائيته ·

اذا ، تأسس قصر الثقافة ليكون رمزا ايديولوجيا ثابتا ، وليحافظ على النقاء المثالي الذي يميز لبنان ·

هذه الحقيقة واضحة عند الذين عملوا على تأسيسه ، لانهم لاحظوا ان النتاجات الثقافية التي انتجتها الحرب تنصب في اتجاه يتلاءم مع السلوك السياسي ، ويختلف بالتالي عن الاتجاهات الفكرية في مرحلة السلم ·

□

في الحرب ، استمرت الثقافة الوطنية تسلك الدروب ذاتها التي كانت تسلكها في الفترات السابقة · فالطبيعة الانسانية للاعمال الادبية ، والطموح للتعبير عن احلام الناس ، والرغبة في النفاذ من العلاقات الخاصة الى العالم ·كلها استمرت في الثقافة الوطنية في مرحلة الحرب · وقد تم التعاطي مع الحرب ، بوصفها حالة انقلاب في الزمن ، وباعتبارها حافزا على تغيير جهات الرؤيا · كانت الحرب بالنسبة للادباء الوطنيين مفاجئة · ومعظم الاعمال الادبية التي انتجت في الفترة الاولى ، كانت تحمل الشكوى من فقدان القدرة على التخلي عن الماضي ·